الفصلُ الثّالثُ

شيوخُهُ وتلاميذُهُ

- شيوخُهُ ورأيُهُ فيهِم .
- تلاميذُهُ ورأيُهُ فيهِم .
- البهيُّ وموقفُهُ مِنَ القيَمِ .
- تكوينُ الأحزابِ في مِصرَ وموقفُهُ منها .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحثُ الأوَّلُ

شيوخُهُ ورأيُهُ فيهِم

إضافةً إلى تأثُرِ «البهيِّ» بجهودِ والديهِ ، وجهادِهما في سبيلِ تربيتِهِ وتعليمِهِ ، فقدْ تأثَرَ ـ أولَ الأمرِ ، أثناءَ دراستِهِ في معهدِ الإسكندريّةِ الدِّينيِّ ـ بعددٍ من المُدرِّسينَ المرمُوقينَ ، الّذينَ تتلمَذَ على أيديهِم ، فاستفادَ كثيراً مِنْ غَزارةِ علمِهِم ، وسَعَةِ فَهْمِهِم ، وحُسْنِ تربيتِهِم وتوجيهِهِم .

يُشيدُ في مآثِرِ أساتِذَتِهِ ، قائلاً : (يَجِبُ أنْ أذكُرَ أنَّ ثلاثةً ـ [مِنَ المُدرِّسينَ] في معهدِ إسكندريةَ ـ على وجهِ الخُصوصِ ، كانَ لَهُم أثرٌ إيجابيٌّ في فَهْمِيَ للكتابِ الأزهريِّ ، وَهُمُ : الشيخُ «حامِدُ مُحَيْسِنُ»، والشيخُ «مَحْمُودٌ شَلْتُوتُ»، والشيخُ «الحُسَيْنِيُّ سُلْطانُ» ، وكانُوا يَجمعُونَ بينَ الفَهمِ المُنظَّمِ ، والنَّقدِ السّليمِ لما يعرِضونَهُ مِنْ مَعْرِفَةٍ)[1].

لا جَرَمَ إنّ اختزانَ ذهنِهِ ، لهذهِ الذِّكْرياتِ مُنْذُ ذلكَ الزّمَنِ البعيدِ ، إنّما يكشِفُ مدى تأثُرِهِ ، بتصوُّراتِ تلكَ البيئةِ المُتوهِّجةِ بالإشراقِ العلميِّ ، أمّا الشيوخُ الذينَ أثْرَوْا قاموسَهُ العِلْمِيَّ واللُّغويَّ ، وتأثَرَ بنزاهتِهِم ، وكريمِ خِصالِهِم ، لا سيما في فترةِ دراستِهِ الأزهريّةِ ، فإنّهُ شديدُ الحِرصِ على توقيرِهِم وتقديرِهِم ، وإطْرائِهِم بما هُم لَهُ أهلٌ فيقولُ : (وَيَجْدُرُ بالذِّكرِ : أنَّ الشيخَ «عبدَ المجيدِ سليم» أحدُ ثلاثةٍ من شُيوخِ الأزهرِ ، فيمنْ خَبِرتُ ، لم يعرِفْ

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص٣١ .

تاريخُ الأزهرِ ، منذُ الحربِ العالميّةِ الأولى ، مَنْ هُوَ أكثرُ مِنهُم حِرصاً على كَرامةِ الوظيفةِ ، ومَنْ هُوَ أشدُّ مِنهُم احتفاظاً بوقارِهِ وهيبتِهِ .

أمّا الاثنانِ الآخرانِ فَهُما : الشيخُ «مُحَمَّدُ مُصطفَى المراغيّ» ، والشيخُ «مُصطفَى عبدُ الرّازقِ» . . . فالشيخُ «المراغيُّ» عُرِفَ بدهائِهِ وبحكمتِهِ السِّياسيَّةِ ، والشيخُ «مُصطفَى» عُرِفَ بتهذيبِهِ وحيائِهِ ، والشيخُ «عبدُ المجيدِ» عُرِفَ بِصدقِ إيمانِهِ وطِيبَةِ قلبِهِ . وكلٌّ مِنَ الثَّلاثَةِ كانَ مُقدَّراً بينَ رِجالاتِ مِصْرَ ، ومُفكِّريها وعُلمائِها ، كما كانَ مُقدَّراً خارجَ مِصْرَ ، وكلٌّ مِنهُم كانَ كريمَ النَّفسِ واليدِ) [1]. مِنْ أشهرِ أساتذتِهِ أيضاً الّذينَ يَعْتَزُّ بِهِم ، وَيُعْجَبُ بإخلاصِهِم ووفائِهِم للأزهرِ الشَّريفِ : أستاذُ البلاغةِ[2]، «الشيخ محمد الخضر حسين» في قسم التَّخَصُّصِ ، الّذي أُنشئَ في سنةِ ١٩٢٥م ، ثُمَّ استلمَ فيما بعدُ وظيفةَ الشيخِ الأكبرِ للأزهرِ ، فكانَ مِنْ أمْثَلِ العُلماءِ في الدّفاعِ عنِ الإسلامِ والمُسلمينَ ، وقَدْ عَمِلَ رئيساً لجمعيّةِ الهدايةِ الإسلاميّةِ في القاهرةِ ومُديراً لمجلّتِها . كانَ أُسلوبُهُ في المجلّةِ يتميّزُ بالوضُوحِ ، والمنْطِقِ ، والإيمانِ .

يُصَوِّرُ «البهيُّ» ـ بمهارةٍ حاذِقَةٍ ـ موقِفاً إيمانيّاً ، مُفعَماً بالتّقوى والإخلاصِ ، لأُستاذِهِ وشيْخِهِ ، فيقولُ : (لم يتزلَّفْ يوماً لحاكمٍ . . . ولمْ يُهادِنْ أو يُنافقْ إطلاقاً في إعلانِ كلمةِ الحقِّ ، عَرَفْتُهُ في حياتِهِ الدّاخليّةِ في مسكنِهِ ، وفي عِيشتِهِ ، عَرَفْتُهُ يومَ كُنْتُ طالباً ، وكانَ هُوَ أُستاذاً للبلاغَةِ ، في قِسْمِ التّخصُّصِ الّذي تَخَرَّجتُ فيهِ ، عَرَفْتُهُ شيخاً للأزهرِ ، وأنا أُباشِرُ العملَ في مُراقبةِ الثَّقافةِ ، بإدارةِ الأزهرِ ، رأيتُهُ قبل [أنْ يكونَ الشيخُ الأكبرُ للأزهرِ]، [وأثناءَ الوظيفةِ] ، وبعدَها ، [فبقيَ كما هُوَ ، لمْ تُغيِّرْهُ المناصِبُ] عرفتُهُ الزّاهِدَ ، المُتقشِّفَ ، الورِعَ ،

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص٦٠ .
(٢) عُرِفَ بالزُّهدِ والورعِ ، انظر ، المرجع السابق ، ص٦٢ .

ولا أنسى موقفَهُ عندما نُشِرَ بالصُّحفِ : [أنَّ] الحكومةَ تَعْزِمُ على تَعْدِيلِ قانونِ هيئةِ كِبارِ العُلماءِ بالأزهرِ .

حَضَرَ [الشَّيْخُ «الْخَضْرُ حُسَيْنٌ»] إلى إدارةِ الأزهرِ مُبكِّراً . . . فأخرجَ مَكتوباً مِنْ جَيبِهِ ، وقالَ : اقرأ هذا الخطابَ . وإذا بِهِ خطابٌ مُوجَّهٌ إلى رئيسِ الجُمهوريَّةِ ، يُقدِّمُ فيهِ استقالتَهُ : احتجاجاً على تدّخُلِ الحُكومةِ في شُئونِ الأزهرِ ، بِلُغةٍ لا تَعوزُها الصَّراحةُ . وبإيمانٍ لا يَقبلُ التَّردُّدَ بحالٍ . وبعزيمةٍ صادقةٍ لا تعرفُ المُناورةَ . . . وشكرتُ له غَيْرَتَهُ على الأزهرِ وكَرامةِ العُلماءِ . ورأتْ فيهِ الحُكومةُ قُوّةً لا تستطيعُ مَعَها أنْ تُقدِمَ على أيِّ تَغييرٍ في الأزهرِ ، طالَما الشيخُ في وظيفتِهِ ، فَقَبِلَتِ استقالتَهُ)[1].

يمتدحُ «البهيُّ» إذاً شُيوخَهُ ؛ لأنَّهُ يعتزُّ بمآثِرِهِم . يُساعدُهُ ـ في ذلكَ ـ نشاطُ ذاكرَتِهِ ثُمَّ قُوّةُ عزيمتِهِ ، وحِرصُهُ على خُلُقِ الوفاءِ ، لِمَنْ هُم أهلٌ للوفاءِ .

يَدْفَعُهُ في هذا الاتِّجاهِ : حُبُّهُ وتقديرُهُ للعِلْمِ والعُلماءِ ؛ لأنَّ العِلْمَ رَحِمٌ بينَ أهْلِهِ . أمّا حافزُهُ ورائِدُهُ في هذا المجالِ : هُوَ حُسنُ الاقتداءِ والتّأسيّ بالرَّسولِ الكريمِ عليه الصلاةُ والسّلامُ ، الّذي يُحذِّرُ مِنِ اضمحلالِ العِلمِ وقلّتِهِ ، ناهيكَ عنِ اقترابِ ذَهابِهِ ونَفاذِهِ ؛ نظراً لانقباضِ العُلماءِ بالموتِ ، لذلكَ جاءَ الأمرُ بإفشاءِ العِلمِ ونَشْرِهِ ، ومُدارسةِ أرْبابِهِ ، ومُساعَدَةِ طُلّابِهِ ، فإنَّ العِلمَ لا يهلِكُ حتّى يكونَ سِرّاً . عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ [رضيَ اللّهُ عنهُما] قالَ : سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبادِ ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبضِ العُلماءِ ، حتّى إذا لمْ يُبقِ عالِماً ، اتّخَذَ النّاسُ رُءُوساً جُهّالاً ، فَسُئِلوا فأفْتَوا بغيرِ علْمٍ ، فَضَلُّوا وأضَلُّوا»[2].

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص٦٢ ، ٦٣ .

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ (٧٧٣-٨٥٢هـ) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة للطباعة والنّشر ، بيروت ، لا . ط ، ١٣٧٩هـ ، رقم الحديث «١٠٠» ، ١/١٩٤ .

حَذَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ ، مِنْ كِتْمان العِلْمِ ؛ لأنَّهُ يترتَّبُ عليهِ أخطارٌ جسيمةٌ ، منْها : ضَياعُ الحُقوقِ ، انتشارُ الظُّلْمِ ، والحُكْمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ تعالى . ثُمَّ تَتَفشّى الجريمةُ ، وتَشيعُ الرَّذيلَةُ ، ويَهْلِكُ الحَرْثُ والنَّسْلُ .

عنْ أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ، ثُمَّ كَتَمَهُ ، أُلْجِمَ يومَ القيامَةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ»[1].

مِنْ مُنطلَقِ العبادةِ أحبَّ «البهيُّ» العلمَ ونبغَ فيهِ ، فكانَ مَحَطَّ إعجابٍ وتقديرٍ مِنْ جميعِ شُيوخهِ وأساتذَتِهِ[2].

استفادَ مِنَ المُراقبِ العامِّ للعُلومِ الأدبيّةِ[3] والرّياضيّةِ ، بإدارةِ المعاهدِ الدِّينيّةِ . ومِنْ شُيوخِهِ[4] الّذينَ تأثّرَ بِهِم تأثُّراً مُباشَراً ، فكانتْ لَهُ مَعَهُم صِلاتٌ مُتنوِّعةٌ ، أفادَتْ في تَشكيلِ رُؤيتِهِ الفكريّةِ ، وبنائِهِ العقليِّ الاجتماعيِّ ، وحِسِّهِ الوطنيِّ ، وتربيتِهِ الثقافيّةِ الرُّوحيّةِ .

* * *

---

(١) محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي «٢٠٩-٢٧٠» ، مختصر سنن الترمذي : اختصره وشرحَ جمله وألفاظه وعلّق عليه ، مصطفى ديب البغا ، اليمامة للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، رقم الحديث «٢٦٥١» ، ص ٣٩٠ .

(٢) من هؤلاء الأساتذة والمشايخ : «عبد المجيد اللبان» ، «علي النّجار» ، «أمين الخولي» ، «يوسف نجاتي بك» ، «علام سلامة» ممن أشادوا في نبوغ «البهي» والتزامه بالخط الإسلاميّ في مُصنّفاتِهِ ، انظر : محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص٤٦ ، ٤٧ .

(٣) الأستاذ هو : «خالد بك حسنين» ، أشار على «البهي» أن يؤجّلَ سفرَهُ إلى ألمانيا ، حتى بعد الامتحان النهائي للتخصص ، [لكي يحصل] على شهادته ، وفعلاً أجّلَ السَّفرَ إلى آخر سبتمبر سنة ١٩٣١م . انظر ، المرجع السابق ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) الشيخ «إبراهيم الجباليّ» كان عضواً في لجنة البعثاتِ الخارجيّةِ ، في عابدين بالقاهرة ، سنة ١٩٣١م ، والأستاذ «أمين سرور» كان معلّماً لمادة علم المعاني في معهد الإسكندريّة ، واستفاد «البهيُّ» من أُسلوبِهِ وتعامله مع الطلاب . انظر ، المرجع السابق ، نفسه .

المبحثُ الثاني

تلاميذُهُ ورأيُهُ فيهِم

استمرَّ «البهيُّ» ـ على مدى ما يُقاربُ نصفَ قرنٍ مِنَ الزَّمانِ ـ أُستاذاً جامعيّاً مَرمُوقاً ، وعالِماً جليلاً فاضلاً ، ومُفكِّراً عميقاً مُخلِصاً . كانَ رحمَهُ اللهُ تعالى مُهتمّاً بتربيةِ جيلٍ مُتكاملٍ ، يقومُ على مبادئ الإسلامِ ، يعتقدُ بأركانِ الإيمانِ ، الذي يُبنَى على الرُّوحيَّةِ في توجيهِ النّاشئةِ ، (ولكنَّ التفكيرَ المادِّيَّ للقرنِ التاسعَ عشَرَ والقرنِ العشرينَ،اشتدَّ وقَسا على الرُّوحيّةِ،وصوّرَها ـ بأنّها ـ مُتَخلِّفةً ورجعيَّةً . ثُمَّ شَحَنَ كلمةَ الرَّجعيَّةِ بكلِّ ما يُنفِّرُ الشّبابَ ، مِنَ الاتّصالِ بالرُّوحيَّةِ ، والوقوفِ على قيمَتِها كَمصدرٍ للتّهذيبِ البشَريِّ ، وكَعاملٍ في تبليغِ الإنسانِ المُتطوِّرِ ، إلى مُستواهُ الرَّفيعِ وهوَ مُستَوى الرُّشدِ والنُّضْجِ ، واستغلَّ في صَرفِ الشَّبابِ عنِ الرُّوحيَّةِ ، أخطرَ وأقْوى غريزةٍ كامنةٍ فيهِ ، وهيَ الغريزةُ الجنسيّةُ . تكوَّنَ عنْ هذا التّفكيرِ الماديِّ [ما يُعرَفُ] : بالأدبِ الجِنسيِّ ، والفلسفةِ الجِنسيّةِ ، والتّربيةِ الجِنسيّةِ ، . . . تفكيرٌ يُركِّزُ أهدافَ الإنسانِ في نِطاقِ الحيوانيَّةِ ، حتّى يَهْدُرَ القيَمَ الإنسانيّةَ ، التي تُمثِّلُها حضارةُ الإنسانِ في تاريخِهِ الطّويلِ ، ومِنْ ثمَّ يرسُمُ قيماً أُخرى بَدلَها)[1].

كانَ «البهيُّ» يُحِبُّ الطّالبَ النَّبيهَ ، يقِفُ إلى جانبِهِ بالرِّعايةِ والاهتمامِ ، بغضِّ النّظرِ عَنِ المقاييسِ الوضعيّةِ الوضيعَةِ ، كاللّونِ أو الجنسِ أو الوطنِ .

يتعامَلُ مَعَ طُلاّبِهِ بأريحيَّةٍ وشَفافيَّةٍ ، يعتَزُّ بفطْنَةِ الذّكيِّ الفطينِ مِنْهُم ، ويُشاركُهُم في نشاطاتِهِم . يذكُرُ ذلكَ باعتزازٍ ، فيقولُ : (. . . كُنْتُ قَدِ اشتركتُ

---

(١) محمد البهي : أثر الروحية في توجيه الشباب ، ص٤٣٥ ، ٤٣٦ .

مَعَ تلميذي[1] في [إعدادِ] مُحاضرةٍ عنْ صِلَةِ الأزهرِ الثَّقافيَّةِ الخارجيَّةِ . ألقاها أُستاذُنا وشيخُنا[2] باعتبار أنَّهُ كانَ مُراقباً عامّاً للبُحوثِ والثَّقافةِ بالأزهرِ ، [تحتَ رِعايةِ مُديرِ مكتبِ رئيسِ الجمهوريّةِ] [3] في ذلكَ الوقتِ ، [بمناسبةِ] مؤتمرِ المُستشارينَ الثَّقافيِّينَ المصريِّينَ في الخارجِ ، [وقدْ تَركَتْ] انطباعاً طيِّباً ، في نفوسِ الحاضرينَ جميعاً) [4].

كانتْ مِنْ وصاياهُ لأبنائِهِ الطُّلاَّبِ ، في كُلِّيَاتِ الأزهرِ المُختلفَةِ ، أنْ يتعلَّمُوا اللُّغاتِ الأجنبيّةَ ، بالإضافةِ إلى التَّخصُّصِ الرَّئيسِ . حَمَلَهُ ذلكَ فيما بعدُ على إعدادِ دراساتٍ في اللُّغةِ الإنجليزيّةِ والألمانيّةِ ، عندما تولَّى إدارةَ الثَّقافةِ بالأزهرِ الشَّريفِ .

أمّا الذي زادَهُ إصراراً على هذا التَّوجُّهِ ، هُوَ ما شاهدَهُ مِنْ مُمارساتٍ ، ضِدَّ الإسلامِ لا سيما تجاهَ الطُّلاَّبِ المُسلمينَ ، في جامعةِ «ماكجيل» في مدينةِ «مونتريال بكندا» ، في سنةِ ١٩٥٥-١٩٥٦م . يَصِفُ تلكَ المُشاهَداتِ قائلاً : (قدْ قُمْتُ بتدريسِ الحركاتِ الإسلاميّةِ المُعاصِرَةِ ، فيما يُسمّى «بمعهدِ الدّراساتِ الإسلاميّةِ» ، المُلحقِ بكليّةِ اللاّهوتِ «بمونتريال» ، وقدْ أشْفَقْتُ على نفسِي . . . مِنْ أنْ أموتَ حُزناً على ما يُباشرُهُ المُستشرقونَ ضدَّ الإسلامِ ، في

---

(١) تلميذه هو : المرحوم الدكتور «حمودة عبد العاطي» وكان يتقنُ اللّغةَ الإنجليزيّةَ ، ساعدَ في ترجمةِ النّقد الذي قدّمه «البهيُّ» عن معهد الدراسات الإسلامية ، الملحق بكليّة اللاهوت ، في جامعة «ماكجيل» في كندا ، سنة ١٩٥٥/١٩٥٦م . انظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص٦٤-١٢٧ .

(٢) أستاذنا وشيخُنا هو : الشيخُ «محمود شلتوت» قبلَ أن يتمّ تعيينهُ وكيلاً وشيخاً للأزهرِ . انظر ، المرجع السابق ، ص٦٤ .

(٣) هو السيد «علي صبري» مدير مكتب الرئيس «جمال عبد الناصر» في الجمهورية العربية المتحدة ، بعد ثورة ١٩٥٢م ، انظر ، المرجع السابق نفسه .

(٤) المرجع السابق نفسه .

الغربِ والشَّرقِ على السَّواءِ ، [فالدّراساتُ الإسلاميّةُ في ذلكَ المعهدِ] عبارةٌ عنْ مسرحٍ ، تُمثَّلُ عليهِ : خُرافةُ الإسلامِ . . . وتناقُضاتُ المبادئِ في القُرآنِ . . . واللاإنسانيّةُ واللاحضارةُ للمُجتمعِ الإسلاميِّ . يُجْلَبُ الطّلبةُ [إليهِ] مِنَ البلادِ الإسلاميّةِ ، ويُختارَوْنَ مِنْ أصحابِ النُّفوذِ في المُستقبلِ : مِنَ الفِرَقِ الصُّوفيّةِ المُنتشرةِ ، والأُسرِ العريقةِ في الإسلامِ والإيمانِ بهِ ، كما يدعي المُدَرِّسُونَ والأساتذةُ [هُناكَ]) [1].

إنَّ أولَ أمرٍ قامَ «البهيُّ» بهِ ـ بينَ طُلّابِهِ المُسلمينَ في «كندا» ـ أنَّهُ عَقَدَ لَهُم اجتماعاً ، أحبَّ أنْ يُظهرَ فيهِ شخصيّةَ المُسلمِ ، مِنْ خلالِ إقامةِ صلاةِ الجُمُعَةِ ، في قاعةٍ من قاعاتِ المعهدِ ، ثمَّ تكوَّنتْ مِنَ الطُّلّابِ جمعيّةٌ ، اتصلتْ بالمُسلمينَ المُقيمينَ في «مونتريال» ، وأدَّوا صلاةَ عيدِ الفِطْرِ في صعيدٍ واحدٍ ، فأمسَى لَهُ الفضلُ في كَشْفِ ما يُخفيهِ أعداءُ الإسلامِ ، وراءَ العلمِ والمنهجِ العلميّ ، لمُحاربةِ الإسلامِ والمسلمينَ ، فالمجموعةُ المُختارةُ مِنَ الطُّلّابِ في ذلك المعهدِ ، مُحاصرةٌ بما يُقدَّمُ لَهُم مِنْ أباطيلَ عنِ الإسلامِ باسمِ العِلمِ . لذا كانتِ الحالُ مُلحّةً لكوادرَ مؤمنةٍ ، تفقَهُ لُغةَ القومِ وتقرَؤها ؛ لِتعيَ وتفهمَ ما يَكيلونَهُ مِنِ اتّهاماتٍ خطيرةٍ لدينِ الإسلامِ ، وتُقارِعَهم حُجّةً بأُخرى ، وتردَّ على اتهاماتِهِمُ الباطلَةِ .

أمّا آليّةُ تدريسِهِ فقدْ عُرِفتْ بينَ الطُّلاب ، بأنّها تقومُ على الإتقانِ والتَّميُّزِ ، بأُسلوبِ البحثِ العلميِّ الذي يعتمدُ على : المُلاحظةِ ، ثمَّ التَّجربةِ ، فالخبرةِ السابقةِ ، وتقصّي المعرفةِ ، والمُرونةِ في المناقشةِ ، فتجدُهُ يقولُ : (وسِرْتُ في تدريسي على أساسِ أنّي لا أحضُرُ للمُحاضرةِ ، إلاّ إذا كُنْتُ مُتقناً تماماً للموضوعِ . فإذا صادفَ ولمْ أستوعبِ الموضوعَ كُلَّهُ ، أجّلْتُ الحُضُورَ لوقتٍ

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص١٢٧ .

آخرَ ، وربَّما استفدْتُ مِنْ تَجربةِ الشيخِ «أمين سرور» ، في الإسكندريّةِ ، فيما اخترتُهُ . . . لنفسي في أُسلوبِ التَّدريسِ ، [ولهذا عاشَ بينَ طُلَّابِهِ في غايةِ المحبّةِ والاحترامِ] ، كما سِرْتُ في أُسلوبِ الامتحانِ ، آخرَ العامِ على أنَّ مَنْ هُوَ دُونَ المتوسِّطِ مِنَ الطُّلَّاب في الامتحانِ ، يُعطَى فُرصةً أُخرى للمُراجَعَةِ مُدّةَ أشهُرِ الصّيفِ ، على أن يُعيدَ الامتحانَ في الدّورِ الثّاني)[1].

نظراً لأُسلوبِهِ هذا في الامتحانِ ، عُرِفَ عندَ بعضِ الطُّلَّابِ بالشِّدّةِ . في الواقعِ أنّها لم تكنْ شِدّةً ، إنّما كانتْ في مصلحةِ الطُّلَّابِ أنفُسِهِم ، فلم يُرِدْ أنْ يخدَعَهُم ، لاسيَّما أنّهُ يقومُ بإعدادِهم لتجربةِ الحياةِ في المُستقبلِ ؛ لكِي يكُونوا أُمناءَ على ما استأمَنَهُم عليهِ دينُهُم ، ألا وهو كتابُ اللهِ وسُنَّةُ رسولِهِ ﷺ ، فهماً وتطبيقاً عمليّاً . رشّحَ «البهيُّ» زُمرةً مِنْ طُلَّابِهِ[2] إلى الدِّراسةِ الجامعيَّةِ في الغربِ ، خاصَّةً إلى «ألمانيا ، كندا ، ولندن».

كانَ مِنْ أشهرِهِم «محمود حمدي زقزوق» الذي أصبحَ وزيراً للأوقافِ المصريّةِ عام ٢٠٠٧م . إذْ كانَ مُخلِصاً جدّاً لأستاذِهِ «البهيِّ» . مِنَ الأدلةِ على وفائِهِ وإخلاصِهِ ، أنّهُ عمِلَ احتفاءً قَيِّماً في المركزِ الإسلاميِّ في «كندا» ، على شرَفِ أُستاذِهِ ، بمُناسبةِ اختيارِهِ مُربِّيًا فاضلاً ، في تلكَ البلادِ .

* * *

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص٤٧ .

(٢) كان من هؤلاء الطلاب الذين رشحّهم «البهيُّ» ، للدراسةِ في الغرب ، واقتبسوا شيئاً من الثقافة الغربيّةِ : «محمود حمدي زقزوق» ، «توفيق محمد شاهين» ، عبده الخولي» ، «محمد شامه» ، «توفيق برج» ، «هشام نشابة» ، «حمودة عبد العاطي»، «محمد بيوشي» ، «محمد الزنكلوني» ، وأمّا «عبد الحميد محمود»، «وعبد العزيز عيسى» فهما كانا يُكثران من زيارتهِ ، لكنهما توفيا قبله . انظر ، محمد فهيم غيث : زيارة خاصة ومقابلة شخصيّة للباحث ، ٢٣ مايو ٢٠٠٧ .

المبحثُ الثّالثُ

البهيُّ وموقفُهُ من القيَمِ

مواقفُهُ الحياتيّةُ كثيرةٌ وغنيّةٌ بالتّجربةِ الميدانيّةِ ؛ لأنّهُ أُسندتْ إليهِ عدّةُ مناصبَ قياديّةٍ ، فأبلَى شبابَهُ بالعلمِ الغزيرِ ، يُدافعُ خصومَهُ بالحُجّةِ الدّامغَةِ ، والحكمةِ البالغةِ ، كما أفنَى عُمْرَهُ في سبيلِ اللهِ يدعُو إليهِ على بصيرةٍ . الإسلامُ لُحْمَتُهُ وسداهُ ، مبدؤهُ ومُنتهاهُ . البهيُّ رَجُلُ مواقفَ ، مَهما يُكلِّفُهُ ذلكَ مِنْ تَضحياتٍ ومُكابداتٍ ، وشَى بهِ الواشُونَ يوماً ، في مجلسِ رئيسِ الجمهوريةِ[1] الخاصِّ (فشهِدَ لهُ الرئيسُ عبدُ النّاصرِ ، بمواقفِهِ التي تتّسِمُ بالحقِّ ، وإنّهُ رَجُلُ عِلمٍ فقط ، وليستْ له صِبغةٌ حِزبيّةٌ ، فلم يكنْ شرقيّاً ولا غربيّاً . بالرَّغمِ مِن اختلافهما : [أيْ الرئيسُ ، والبهيُّ] في وِجْهةِ النَّظرِ السِّياسيَّةِ)[2]. عاشَ حياتَهُ نَزيهاً ، يترفَّعُ عَنِ الدّنايا والسَّقَطاتِ الماديَّةِ . يُقدِّمُ المصلحةَ العامّةَ على المصالحِ الشّخصيَّةِ ، يُحبُّ القيمَ العُليا ، فتراهُ يُناضلُ من أجلِ الثّباتِ على دينِهِ ومبادئِهِ الإسلاميَّةِ .

تَظهَرُ هذهِ الرُّوحيَّةُ الساميَةُ جليّاً ، عندما ساومتْهُ السّفارةُ الأمريكيّةُ في القاهرةِ ، ساعيةً إلى حذفِ ما جاءَ في أحدِ مؤلّفاتِهِ ، خاصّةً ما يتعلّقُ

---

(١) رئيس الجمهورية في ذلك الوقت هو : جمال عبد الناصر ، حيثُ كان والدُهُ «حسين عبد الناصر» يزور «البهي» في بيته ، بل ويتردد عليه كثيراً . انظر ، محمد فهيم غيث : زيارة خاصة ومقابلة شخصية للباحث .

(٢) المرجع السابق نفسه .

بالمُستشرقينَ والمُبشِّرينَ ، ويُبيِّنُ ما جرَى في تلكَ المُساوَمَةِ ، الرَّخيصَةِ الهابطَةِ ، قائلاً : (فاتصلتْ بيَ السّفارةُ ، عنْ طريقِ المُستشارِ الثَّقافيِّ ، في سنةِ ١٩٦٢م ، وأبلَغتني : أنَّ مجلسَ التّعليمِ الأمريكيِّ قد اختارَ [كتابَكَ][1] لترجمتهِ] إلى اللُّغةِ الإنجليزيّةِ ، وقال : إنَّ المجلسَ سيدفعُ مبلغَ ستَّةَ آلافِ دولارٍ ، حقَّ الترجمةِ في حالةٍ واحدةٍ ؛ وهيَ أن تحذِفَ الفصولَ الخاصّةَ ، بالمُستشرقينَ والمُبشِّرينَ فيهِ . فذكرْتُ لَهُ : أنَّ الكتابَ : كتابٌ وليسَ عملاً تجاريّاً . فإنْ كانتْ فيهِ أخطاءٌ علميّةٌ ، فأنا على استعدادٍ لتلافيها في طبعةٍ قادمةٍ ، . . . وطبعاً لم يتمَّ اتفاقٌ ؛ لأنَّ المقصودَ كان لإظهارِ المؤلِّفِ بمظهرِ الضّعيفِ .

عندما يصدُرُ كتابُهُ باللُّغةِ الإنجليزيّةِ ، يقولُ شيئاً يُناقِضُ ما سبقَ أنْ ذَكَرَهُ باللُّغةِ العربيّةِ)[2].

بَقِيَ صامِداً كالطَّودِ الأشمِّ ، فلم تَلِنْ لَهُ قناةٌ ، وما ضَعُفَتْ لَهُ شكيمةٌ ، لكنَّهُ سارَ ضارباً عُرضَ الحائطِ بكلِّ الضُّغوطِ المُختلفَةِ ، مُقاوِماً جميعَ الإغراءاتِ المادِّيَّةِ ، لأنَّ هدفَهُ يتمثَّلُ في الكشفِ عنِ القيَمِ الإسلاميَّةِ ، وصلاحيتِها في كلِّ مكانٍ وزمانٍ ، لكِي تستمرَّ شامخةً أمامَ التَّيّاراتِ المادِّيَّةِ المسْعُورةِ ، لاسيما في المجتمعاتِ المعاصرةِ .

ما كانَ «البهيُّ» لينتصِرَ لنفسهِ أبداً ، إنَّما يُقابِلُ:الإساءةَ بالحُسنَى والإحسانِ، ومِنَ الأمثلةِ في هذا الجانبِ : أنَّهُ عندما كانَ مُديراً لجامعةِ الأزهرِ الشَّريفِ ،

---

(١) اسم الكتاب : «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» ، وهو مواجهةٌ مباشرة لتيارات فكرية ، مستترة وراء عناوين خادعة ، وهي في جوهرها محاولات عنيفة لفصل المسلمين عن دينهم . انظر ، محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث . . وصلته بالاستعمار الغربي ، ص٥.

(٢) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . . . أستاذ . . . ووزير ، ص١٣٠ .

طُلِبَ إليهِ أنْ يُرشِّحَ أحَدَ الأساتذةِ مِمَّنْ يُجيدُونَ اللُّغاتِ الأجنبيَّةَ ، ليكونَ مُديراً للمركزِ الإسلاميِّ في واشُنطُن ، فرشّحَ أحدَهُم[1] مِمَّنْ تنطبِقُ عليْهِ مُواصفاتُ الوظيفةِ ، ولمّا جاءتِ الموافقةُ على تعيينِهِ ، قَدِمَ الرَّجُلُ قبلَ سَفَرِهِ ؛ لِيُسَلِّمَ على «البهيِّ» وَيَشكُرَهُ على موقِفِهِ النَّبيلِ ، فدارَ بينهُما الحوارُ التّالي : (..... عندئذٍ رغِبَ في رؤيتِي قبلَ السّفرِ ، . . . وذكّرتُهُ . . . [أنّهُ أصبحَ أخاً] يُشارِكُ في مسئوليّةِ الرِّسالةِ الإسلاميّةِ . فأجابَ بأنّهُ مدينٌ لي . . . بنقلِهِ من درجةِ أستاذ مُساعد إلى درجةِ أُستاذ ، وقد حُرِمَ منها لسببٍ طائفيٍّ ، وبتعيينِهِ عميداً لكليّةِ اللُّغةِ العربيّةِ ، ثمّ بترشيحِهِ مُديراً للمركزِ الإسلاميِّ بواشنطن ، رغم أنّي ـ مستطردٌ في القولِ ـ كنتُ أُسهِمُ في نشْرِ إشاعاتٍ كاذبةٍ عنكَ ، وكان يصلُكَ الأمرُ)[2].

أجابَهُ «البهيُّ» بكلِّ شَفافيَّةٍ وأريحيَّةٍ ، بأنّهُ تمَّ اختيارُهُ بناءً على الخصائصِ الذّاتيَّةِ ، العلميَّةِ والعمليَّةِ التي تتوفَّرُ فيهِ ، على حدٍّ سواءٍ ، وليسَ لرغبةٍ شخصيَّةٍ ألبتَّةَ ، فبكى مُتأثِّراً واستأذنَ في الخُروجِ مِنَ المكتبِ .

مِنْ مآثِرِهِ القِيَميَّةِ التي يُشارُ إليها بالبَنانِ ، حَمْلُهُ لواءَ التّجديدِ في ترقيةِ الأساتذةِ الأزهريِّينَ ، حيثُ كانتْ سابقاً تقومُ على الأقدميَّةِ ، فأصبحَ يعتمِدُ البَحثَ العلميَّ ، والمشاريعَ التَّربويَّةَ ، ومبدأ الإنتاجِ في سُلَّمِ التَّحفيزِ والتَّرقياتِ الأُفقيَّةِ ، مَعَ أنَّ أكثريّةَ الأساتذةِ ، أعلنُوا عَدمَ الرِّضا عنْ هذا النّظامِ ، إلاّ أنَّهُ ظلَّ على رأيِهِ الإبداعيِّ ، حِفاظاً على سُمعةِ جامعةِ الأزهرِ ، وتأكيداً لمُستواها العلميِّ بينَ جامعاتِ العالَمِ .

---

(١) المقصود بأحدِهم هو الدكتور : «عبد الحليم النّجّار» كان زميلاً «للبهيّ» أثناء دراسته بألمانيا ، عام ١٩٣٢م . انظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص١١٣ .

(٢) المرجع السابق ، نفسه .

عُرِفَ رحمَهُ اللهُ تعالَى أنّهُ كانَ ينتصرُ لدينِ اللهِ ، رأَى ما أذهلَهُ ذاتَ يومٍ ، عندما كانَ في جَولةٍ تفتيشيَّةٍ مُفاجئَةٍ ، لإحدى مُدُنِ الوجَهِ القِبليِّ[1] مِنْ أقصى الصّعيدِ ، وكان الوقتُ ظُهراً ، فتوجّهَ لتأديةِ الصّلاةِ في أحدِ المساجدِ القريبةِ ، فشاهدَ رجلاً جالساً على مِنصّةِ قارئِ السُّورةِ ، يحملُ في إحدى يديهِ مِغزلاً ، وفي الأُخرى صوفاً يغزلُهُ ، ثمَّ أُقيمتِ الصّلاةُ وإذا بِعَجَبِهِ يزدادُ ، فما قامَ الرّجُلُ ذو المِغزلِ من مكانِهِ ، بل أقامَ الصّلاةَ جالساً وهو لا يزالُ يغزلُ الصُّوفَ بمغزلِهِ ، وبدأَ الإمامُ الصّلاةَ ، فكبّرَ تكبيرةَ الإحرامِ ، ثمّ ركعَ وقامَ وسجدَ ، وأتمَّ الصّلاةَ وتبعَهُ المُصلُّونَ إلاّ ذلكَ الرجُلَ الببغاءَ ، بقيَ يُردِّدُ ما يسمعُ من تكبيرٍ وتحميدٍ وتسليمٍ بصوتٍ مُنغَّمٍ ممغُوطٍ ، دونَ أنْ يشتركَ في الصّلاةِ أو يكُفَّ عن غزلِ صوفِهِ ، انتهتِ الصّلاةُ واتّجَهَ «البهيُّ» إلى الرّجُلِ الّذي أمَّ المُصلِّينَ ، فإذا بِهِ البقّالُ المجاورُ للمسجدِ ، وسألَ عنِ الرّجُلِ صاحبِ المِغزلِ ، فإذا بِهِ مُقيمُ الشعائرِ بالمسجدِ ، وما أن عَلِمَ الرَّجُلُ أنّهُ بينَ يدَيْ وزيرِ الأوقافِ ، تبدّلَ الحالُ عندئذٍ وسقطَ المِغزلُ منْ بينِ يديهِ ، وهبَّ واقفاً ممّا جعلَهُ يتعثَّرُ بجلبابِهِ حينَ أرادَ الهُبوطَ منَ المِنَصَّةِ ؛ لأنّهُ الآنَ بينَ يَدَي الوزيرِ ، ونسيَ أنّهُ كان منذُ لحظاتٍ في حضرةِ اللهِ أثناءَ الصّلاةِ يلْهُو ويعبثُ .

طلبَ الوزيرُ سجلَّ الحُضُورِ والانصرافِ (ليكتشفَ فيها تزويراً ... فإمامُ المسجدِ لا يوقِّعُ إلاّ دفعةً واحدةً في نهايةِ الشّهرِ ، ... ولماذا لا يطمئنُّ ويستريحُ بالُهُ ، والمسجدُ لم يَزُرْهُ مُفتِّشٌ واحدٌ منذُ شهورٍ ، [أمرَ الوزيرُ] بفصلِ مُقيمِ الشعائرِ ، حتى يُتيحَ لَهُ . . . غزلَ صوفِهِ ، بدلاً مِنْ أنْ يَهزلَ . . . في شعائرِ اللهِ تعالى ، ونقلَ الإمامَ المُزوِّرَ مِنْ أقصَى الصّعيدِ ، حيثُ يسكُنُ إلى إحدى مُحافظاتِ السّاحلِ الشّماليِّ ، [وأوقعَ] الجزاءَ المُناسِبَ على مُفتِّشي المُديريّةِ ، الذينَ أهملُوا في واجباتِهم)[2].

---

(١) المدينةُ هي : أسيوط ، وتعتبر عاصمةً لصعيد مِصرَ . انظر ، محمد البهي : حيـاتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

تضجّرَ بعضُ أئمّةِ المساجدِ ، ومقيمُو الشعائرِ والمُفتشونَ ، وملأوا الدُّنيا صُراخاً وعَويلاً ، مُتصوِّرينَ أنّ الجزاءَ العادلَ ، الذي وقعَ على أفرادَ قلائلَ ، ممّنْ قصّرُوا وأهملُوا في واجباتِهم، ظُلماً وعُدواناً .

كان الوزيرُ «البهيُّ» كثيراً ما يُردِّدُ ، عند ما يُطلَبُ منْهُ الدِّفاعُ عنْ نفسِهِ ، فيقُولُ : (إنَّ شخصي لا يهُمُّ في الموضوعِ ، ولكنّي أخشَى مِنْ نشرِ هذهِ الأسبابِ ، فتتلقفُها أيدي أعداءِ الإسلامِ ؛ ليُلصِقُوها بجميعِ أئمّةِ المساجدِ . . . بينما هيَ في الحقيقةِ مَسَائِلُ فرديّةٌ ، وكرامةُ أئمّةِ المساجدِ [والعاملينَ في الحقلِ الإسلاميِّ] أعزُّ عليَّ مِنْ نفسِي ، طالَما العملُ [يُقصَدُ] بهِ وجهُ اللهِ تعالى)[1].

نَذَرَ «البهيُّ» حياتَهُ للدِّفاعِ عنِ القيمِ السّاميةِ . ماذا تراهُ سيفعلُ القاضي العدلُ النّزيهُ ، إذا وصلَ العبثُ والاستهتارُ إلى أُمورِ إقامةِ الشعائرِ الدّينيّةِ ، لمثلِ هذا الحدِّ ؟! . فقد أرادَ رحمَهُ اللهُ تعالى ، أنْ يجعلَ هذا الجزاءَ عبرةً لِمَنْ تُسوِّلُ له نفسُهُ الانحرافَ والإهمالَ ، فهو يستشعِرُ أمانةَ المسئوليّةِ ، التي تتمثّلُ في قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾(الصافات: ٢٤-٢٧).

تُعرَضُ الخلائقُ على اللهِ تعالى يومَ القيامةِ ، ويقفُ الأتباعُ مِنْ عامّةِ النّاسِ إلى جانبِ زُعمائِهم وقادتِهم المتبوعِينَ ، فيتساءلونَ فيما بينَهُم ، لماذا لا يَنصُرُ بعضُنا بعضاً كما كُنّا في الحياةِ الدُّنيا؟ (وهذا سؤالٌ [يُفيدُ] التّوبيخَ والتّقريعَ والتّهكُّمَ بِهِم ، [فإنَّهُ] لا يقدِرُ بعضُهُم على نُصرةِ أخيهِ ، بل هُمُ اليومَ مُستسلمونَ ومُنقادونَ للعذابِ) [2].

بمثلِ هـذهِ الرُّوحِ الإيمانيّةِ العميقَةِ ، والصَّفاءِ الفكريِّ في المُحاسَبَةِ النَّفسيَّةِ ،

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص٢١ .

(٢) محمد محمود حجازي : التفسير الواضح ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ، ص٢٣ .

«استطاعَ البهيُّ» أنْ يأسِرَ القلوبَ الواعيةَ للمسؤوليَّةِ ، ويجِدَ مَنْ يتعاونُ معَهُ ، بل ويشاركُهُ[1] في تنفيذِ القراراتِ الصَّائبةِ ، بالرَّغمِ مِنَ الاعتراضاتِ الكثيرةِ ، المبنيَّةِ على الأنانيَّةِ الممقُوتَةِ ، مِنْ أصحابِ الأهواءِ . الَّذينَ يستندُونَ على المَصْلحةِ الذَّاتيَّةِ ، بغيرِ أدنَى اكتراثٍ بالقوانينِ أوِ القيمِ الإنسانيَّةِ ، ومِنَ الشَّاهدِ على تلكَ الصَّفاقَةِ والحماقَةِ ، ما ظهَرَ في سُلوكِ بعضِ النَّفعيِّينَ : إذْ إنَّهُ في عامِ ١٩٦٤م ، عندما أُقيلَ «البهيُّ» مِنْ وزارةِ الأوقافِ المصريَّةِ ، سُرعانَ ما أحضَرَ أُولئكَ النَّفَرُ الهَزيلُ مِنَ النَّاسِ ، إحدى فِرَقِ الموسيقَى مِنْ شارعِ «محمد علي باشا» ، إلى ديوانِ وزارةِ الأوقافِ ، تشفيّاً بهذهِ المُناسَبَةِ .

لكنَّهُ لم يكترثْ بتلكَ السُّلوكيّاتِ المادِّيَّةِ الهابطَةِ ؛ لأنَّ تركيزَهَا يقومُ على طلبِ المُتعةِ المادِّيَّةِ وحدَها ، والبقاءِ فيها ، والإيمانِ بها دونما سِواها من قيمٍ عُليا .

المادِّيَّةُ هِيَ الوقوفُ إذاً بِسَعْيِ الإنسانِ عندَ حدِّ الذّاتِ ، ومطالبِها الذَّاتيَّةِ مِمّا تشتهيهِ مِنْ مُتعَةِ النَّفسِ والجنسِ ، أو مُتعةِ الجاهِ والسُّلطةِ ، ولا تتعدَّى ذلكَ إلى ما يعودُ على الآخرينَ بالمصلحةِ والنَّفعِ العامِّ ، التي توصَفُ بالقيمِ العُليا : كالتَّعاونِ ، والمُشاركةِ للآخرينَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، والتَّوادِّ والإيثارِ ، وبقيَ مُستمِرّاً على ثوابتِهِ الأصيلَةِ ، وقِيَمِهِ النَّبيلةِ .

* * *

---

(١) كان ممَّن تعاونَ وتشاركَ معَ البهيِّ : الدكتور «عبد الحليم محمود» كان عضواً في مجمع البحوث الإسلاميّةِ ، وعملَ عميداً لِكُلِّيَّةِ أُصول الدِّين في الأزهر ، والدكتور «علي عبد القادر» نالَ منصبَ العضويةِ في مجمع البحوث الإسلاميّةِ ، وكان عميداً لكليّة اللغة العربيّةِ في الأزهر ، والدكتور «محمد سليمان» الأمين العام للمجلس الأعلى للجامعاتِ المصريّةِ ، بالإضافةِ إلى أُستاذيّتِهِ في الطِّبِّ الشّرعيِّ ، بكليّةِ طبِّ جامعةِ القاهرة ، وعملَ وكيلاً لجامعة الأزهرِ الشريف . وكان معروفاً في [حسنِ] دينهِ ، ونشاطِهِ في عملِهِ ، عرضَ «البهيُّ» اسمَهُ مرتينِ لكي يتمّ تعيينه مديراً لجامعةِ الأزهرِ ، ولكنّها لم تنجحْ تلكَ المحاولات ؛ لأنَّهُ من الإخوان المسلمينَ ، والانتساب إليهم كان تهمةً كبيرةً في ذلك الوقتِ . انظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص ٧٦-١١٣ .

المبحثُ الرّابعُ

تكوينُ الأحزابِ في مِصرَ وموقفُهُ منها

مُنْذُ مَطَالِعِ القَرنِ العشرين ، كانت مصرُ خاضعةً بصورةٍ مُباشَرةٍ للحُكومةِ البريطانيّةِ ، التي تدخّلتْ في جميعِ الشُّئونِ المِصريّةِ داخليّاً وخارجيّاً ، فاتّجَهَ بعضُ المُثقّفينَ المصريّينَ والدّارسينَ في مصرَ ، وفي أوروبا ـ وكانَ مِنْهُم الذي جَذَبَتْهُ التيّاراتُ الإسلاميّةُ ـ إلى إحياءِ فكرةِ الجامعةِ الإسلاميّةِ ، لتكونَ نَواةَ اتحادٍ والتقاءٍ بينَ المُسلمينَ ، نظراً لنشوءِ ما تُسمى بالحركاتِ والتّياراتِ الوطنيّة المُجرّدةِ ، (ثُمَّ [أَنَّ] حركةَ هؤلاءِ وتفاعُلاتِهم [جميعاً] ، هِيَ ما عَمِلَتْ على تشكيلِ الأحزابِ المُختلفةِ في مصرَ من عام ١٩٠٧ إلى ١٩١٤م ، . . . وكانَ مِنْ أهمِّ ما شُكِّلَ حينئذٍ : حزبُ الأُمّةِ[١]، والحزبُ الوطني[٢] [بزعامةٍ من الشّباب الذينَ] يَتُوقُونَ إلى لَعِبِ دورِهِم ، في الحياةِ السِّياسيَّةِ)[٣].

---

(١) حزب الأُمّة : تشكّلَ من الملاك الزراعيين ، كان الحزبُ يرى العملَ من أجل الاستقلال في إطار وجود الاحتلال ، بالاتفاق معه على إنهاء وجودِهِ . انظر ، محمود محمد جمال الدين : من تاريخ مصر المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م ، ص٢١ .

(٢) الحزب الوطني : تشكّلَ من القطاع الأكثر ثوريّة ، من البرجوازية المصريّة ، أو الطبقة الوسطى «مثقفين وطلبة وتجار» ، وكان الحزبُ يرى ضرورةَ اللجوءِ مباشرةً ، إلى مُهاجمة الاحتلال واقتلاعِهِ من جذورِهِ . انظر ، المرجع السابق نفسه .

(٣) المرجع السابق نفسه .

تَكَوَّنَتْ هيئةٌ قويّةٌ للمُعارضَةِ ، مِنْ وطنيِّينَ ومُحامِيِّين وأعيان ، وتَزَعَّمَهُم «سعد زغلول»[1]، وأصبحُوا سياسيِّينَ مُحترفينَ . ضاقَ الشَّعبُ المِصريُّ بسياسَةِ بريطانيا وعدائِها لهُ ، ممّا دفعَهُ إلى الثَّورةِ ، (التي أعلنَها في شهرِ مارسِ سنةِ ١٩١٩م ، وامتدَّتْ لِتشملَ سائرَ البلادِ ، وشاركَتْ فيها كُلُّ فئاتِ المُجتمعِ المصريِّ ، وقدْ قابلَتْ بريطانيا ثورةَ المصريِّنَ بالإرهابِ وإطلاقِ الرّصاصِ على المُظاهراتِ المُتعدِّدةِ ، وحكَمَتْ على آخرينَ بالحبْسِ أو الجَلْدِ أو الغرامَةِ [الماليَّةِ والإبعادِ] . لكنَّ ثورةَ الشّعبِ لم تتوقّفْ ، حتّى اضطُرَّتْ بريطانيا سنةَ ١٩٢٢م ، إلى إصدارِ تصريحٍ ، يتضمّنُ إعلانَ انتهاءِ الحِمايةِ ، والاعترافَ بمصرَ دولةً مُستقلّةً ذاتَ سيادةٍ)[2].

أعلنَ الملكُ «فؤادُ الأوّلُ» في ذلكَ الوقتِ الدُّستورَ في سنةِ ١٩٢٣م ، بعدَ استقلالِ مِصْرَ مُباشَرةً ، وتكوَّنتِ الأحزابُ السِّياسيّةُ ، لمُمارسةِ الحياةِ البرلمانيّةِ ، كما كانَ يَجري في الغربِ ، ومنذُ ذلك الحينِ أخذتِ السِّياسَةُ ـ سواءٌ سياسةُ الأحزابِ أو سياسةُ القَصْرِ ـ تَتَّجِهُ نحوَ الأزهرِ الشَّريفِ ، وتقتربُ منهُ ، (لِكَي تستغلَّ سُمْعَتَهُ العالميّةَ ومكانَتَهُ في مِصرَ ، ومواقفَهُ التّاريخيَّةَ في السِّياسةِ المِصريّةِ ، وأصبحَ هُناكَ تصارُعٌ بينَ الأحزابِ السِّياسيَّةِ : الوفدُ ، والأحرارُ الدُّستوريُّونَ ، والحزبُ الوطنيُّ ، ثمَّ فيما بعدُ دخلَ معها حزبُ الاتّحادِ ، ثمَّ الحزبُ السعديُّ ، فيما بينَ بعضِها بعضاً ، وكذلكَ فيما بينِها مِنْ جانبٍ ،

---

(١) سعد زغلول : مصريٌّ وطنيٌّ جمع بين التربيّة المصريّةِ والثقافةِ الأزهريّةِ ، وشيئاً من الثقافةِ الغربيّةِ ، عين وزيراً للمعارف سنة ١٩٠٦م . التفّ حوله حزب الوفد حين تكاملَ تكوينه سنة ١٩١٩م ، وقد ضمَّ فئاتٍ مختلفة ممثلين عن الأقباط ، والعشائر البدويّةِ ، وبعض أعضاء الحزب الوطني ، وبعض ذوي المواهب الشخصية من موظفي الحكومة ، وبعض البارزين من أعضاء الجمعية التشريعيّة . انظر ، محمود محمد جمال الدين : من تاريخ مصر المعاصر ، ص٣٢ .

(٢) عبد الله عوض الخباص : سيد قطب . . الأديب الناقد ، شركة الشهاب ، الجزائر ، لا . ط ، لا . ت ، ص٢٧- ٥١ .

والقَصْرِ أو «السّرايْ» مِنْ جانبٍ آخرَ ، وأضحَى علماءُ الأزهرِ ، بعضُهُم يتبعُ سياسةَ القصرِ مُباشرةً ، أو ضمنَ [حزبٍ من الأحزابِ] ، وانقسمَ الطُّلابُ في نشاطِهِمُ الخارجيِّ والسِّياسيِّ ، وتوزَّعُوا على هذهِ الأحزابِ ، على نَمَطِ ما صنعَ العُلماءُ)[1].

لم تَرُقْ فكرةُ الأحزابِ لدى «البهيِّ» ، وما وَجَدَتْ عندَهُ أُذُناً صاغيةً ؛ بسببِ ما شاهدَ مِنْ انقساماتٍ فئويةٍ مَقيتةٍ ، تصِلُ إلى درجةِ الفتْنةِ والتَّطاولِ والتَّآمُرِ ، بلْ إنّ بعضَ رُؤساءِ الأحزابِ ، أظهرَ تواطُؤه[2] معَ العدوِّ البريطانيِّ ، نكايةً بغيرِهِ ورغبةً في الوصُولِ إلى مناصبَ يرنُو إليها .

عُرِفَ عنْ «مُحَمَّدٍ البهيِّ» عدمُ انضمامِهِ لأيِّ حزبٍ منَ الأحزابِ ، أوْ جماعةٍ مِنَ الجماعاتِ ، حتّى رَفَضَ أنْ ينخرطَ في حزبِ الدَّولةِ[3] آنذاكَ ، بالرَّغمِ مِنْ ذلكَ ، فإنَّهُ عُيِّنَ وزيراً للأوقافِ المصريّةِ ؛ لأهليّتِهِ العلميّةِ ونُضجِ استقامتِهِ وعِفَّتِهِ ، وسَلامَةِ مَنْطِقِهِ .

---

(١) محمد البهي : غيوم تحب الإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ص١٠٨ .

(٢) من الحزبيين الذين أُشغلوا بالفتن والتواطؤ مع الإنجليز : « إبراهيم الورداني» من الحزب الوطني ، الذي استجاب للفتنة البريطانيّة ، فقتل «بطرس غالي» تلبيةً لرغبةِ «كرومر» حيث كان المندوب السامي على مصر سنة ١٩١٠م ، «ومصطفى فهمي» صهر الخديوي «عباس الثاني» كان صديقاً حميماً ل«كرومر» وكان من الموالين لبريطانيا أيضاً «عدلي يكن» وأتباعه من حزب العدليين ، نسبةً إلى «عدلى» ، ويُطلقُ عليهم برادع الإنجليز ، وهم ضدّ حزب السعديين ، الذين ينسبون إلى سعد زغلول ، وتكوّن هذا الحزب بعد انسلاخ النقراشي وأحمد ماهر من حزب الوفد ، سنة ١٩٣٦م . . انظر ، محمود محمد جمال الدين : من تاريخ مصر المعاصر ، ص٢٣-٧٤ .

(٣) حزب الدولة : هو ما يُسمّى «حزب الاتحاد الاشتراكي» ، الذي تبنته الحكومةُ المصريةُ في عهد «جمال عبد الناصر»، وكان «البهيُّ» يمقتُ الشيوعيةَ أيضاً . انظر ، محمد فهيم غيث : زيارة خاصة ومقابلة شخصيّة للباحث ، ٢٣مايو ٢٠٠٧.

تُراهُ مِنْ وَحْيِ حُبِّهِ لبلادِهِ ـ حينَما أمْسَتْ نيرانُ الفِتَنِ يشتعلُ أوارُها في جبهةِ مصرَ الدّاخليَّةِ ـ ينتقِدُ التّصرُّفاتِ الحزبيَّةَ ؛ لأنّها تحوَّلتْ إلى أزماتٍ شتّى مِنْها : أزمَةُ الانقلابِ في المعاييرِ الأخلاقيةِ ، كالتّنابُذِ والتّدابُرِ ، وسُوءِ الظّنِّ ، بدلاً مِنَ التّواصُلِ والتّعاوُنِ وحُسْنِ الظّنِّ ، فإنَّ الإنسانَ المِصريَّ بوجهٍ عامٍّ ، والمُسلمَ بشكلٍ خاصٍّ ، عاشَ ـ لاسيَّما منذُ نهايةِ القرنِ التّاسعَ عَشَرَ وبدايةِ القرنِ العشرينَ ـ في فترةِ تَكوينِ الأحزابِ (حياةَ التّناقُضِ في كثيرٍ ، مِنَ التّحوُّلاتِ الحزبيَّةِ الضَّيِّقَةِ ، والتّياراتِ الإلحاديَّةِ الإقليميَّةِ والعالميَّةِ ، التي تدعُو إلى الانصرافِ عَنِ اللهِ تَعالى ، وتَحويلِ الإيمانِ باللهِ سُبحانَهُ إلى الإيمانِ بالإنسانِ ، فالأمرُ والحالُ هكذا جِدُّ خطيرٍ ، فالإنسانُ العَلْمانيُّ الذي انصرفَ عَنِ اللهِ تعالى ، وتحوَّلَ إلى نفسِهِ . . . لم يكُنِ انصرافُهُ فَجأةً ، إنّما كانَ في شبهِ يأسٍ)[1].

احتدمَ الصِّدامُ النَّوعيُّ حولَ مُستقبَلِ الأحزابِ التّقليديَّةِ المصريَّةِ ، بينَ الاتّجاهاتِ والقُوى السِّياسِيَّةِ العسكريَّةِ والمدنيَّةِ على حدٍّ سواءٍ ، بعدَ ثورَةِ الضُّبّاطِ الأحرارِ في يوليو سنةِ ١٩٥٢م ، واستمرَّتِ الخِلافاتُ مِنْ سَنَةِ ١٩٥٣م إلى بدايةِ ١٩٥٥م ، بسببِ تمكُّنِ الاتّجاهِ الاشتراكيِّ الديمُقراطيِّ ، الذي تولّى قيادتَهُ ، « جمالُ عبدُ النّاصرِ » ، حيثُ فَرَضَ سيطرتَهُ ، فأصبحَ الصِّراعُ يدورُ بينَ أنصارِ هذا الاتجاهِ الاشتراكيِّ ، وبينَ الاتّجاهِ الدِّيمُقراطيِّ الليبراليِّ ، (بزعامةِ « محمد نجيب » وقدْ مرَّ هذا الصِّراعُ بأزمَتَيْنِ ، عُرِفَتا بأزمَةِ فبراير ومارس سنةَ ١٩٥٤م . إذْ إنَّهُ لمّا بَدَتْ تظهَرُ فَجوةٌ كبيرةٌ ، بينَ المناصبِ الهامَّةِ التي شغلَها « نجيبُ » ، وبينَ ثِقَلِهِ النِّسبيِّ في صُنعِ القرارِ ، قرّرَ تقديمَ استقالتِهِ ، والتي قُبلتْ في ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٤م)[2].

---

(١) محمد البهي : الإسلام فطرة الله ، الهيئة العامّة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، لا . ط ، ج١ ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٧٦م ، ص٣٨ .

(٢) صلاح نصر : مجلّة المصوّر ، مذكرات كاملة ، بتاريخ ١٧/ ١/ ١٩٨٦م ، الحلقة الرابعة ، العدد « ٣١٩٧ » ص٢٩ .

انضوَى تحتَ لواءِ الحزبِ الاشتراكيِّ الماركسيِّ ، غالبيةُ زُعماءِ مصرَ مِنَ السِّياسيِّين والاقتصادِيِّينَ ، والعسكريِّينَ والمدنيِّينَ ؛ لأنَّ التّوجُّهَ العامَّ للنِّظامِ الجُمهوريِّ الجديدِ ـ خاصّةً بعدَ العُدوانِ الثلاثيِّ[1] على مِصرَ في سنةِ ١٩٥٦م ـ باتَ صَوبَ الاتِّحادِ السُّوفيتيِّ ، الذي يُطبِّقُ نظامَ الاشتراكيَّةِ والشُّيوعيَّةِ ، وبدأتْ عمليَّةُ التَّصنيفِ للنّاسِ في مِصْرَ ، على قاعدةِ مَنْ ليسَ مَعَنا فَهُوَ ضِدُّنا .

فَنَصَبَ أحدُ المسئولينَ[2] «وهو سامي شرف» شَرَكاً ، أرادَ مِنْ خِلالِهِ أنْ يختَبِرَ موقِفَ «البهيِّ» مِمّا يَجْرِي في تلكَ الفترةِ ؛ لذا طلَبَ إليهِ أن يُلقيَ مُحاضرةً عنِ الإسلامِ والاشتراكيَّةِ . يُشيرُ «البهيُّ» إلى ذلك فيقولُ : (ووقَعَ في نَفسِيَ أنَّ هذهِ المحاضرةَ ، هي اختبارٌ لموقِفي مِنَ الاشتراكيَّةِ الماركسيَّةِ ، وهيَ الَّتِي تُطبَّقُ هُنا في مصرَ ، [منذ عام] ١٩٦١م ، وأَصْرَرْتُ في المُحاضَرَةِ على إبرازِ التَّضادِّ ، بينَ [الإسلامِ والاشتراكيَّةِ] ، ومِنَ الغريبِ أنَّ الموظَّفَيْنِ اللَّذَيْنِ جاءَا لمُرافَقَتِي إلى مَبْنَى المعهدِ الاشتراكيِّ ، [حيثُ مكانُ المُحاضَرةِ] لم أجدْ واحداً مِنْهُما . . . وعُدْتُ إلى المنزلِ مَعَ سائقِ السَّيَّارةِ وحدَهُ ، ومنذُ [ذلكَ] المَساءِ لمْ يتَّصِلْ بِيَ أحدٌ مِنْ ناشرِ لكتابٍ ، أوْ مِنْ عارضِ لبرنامَجٍ دينيٍّ في الإذاعةِ أوِ التِّلفزيون ، أوْ مِنْ صُحُفِيٍّ في صحيفةٍ يوميَّةٍ أو أُسبوعيَّةٍ ، يطلُبُ حديثاً أوْ مَقالاً ، وشعَرْتُ بعُزْلَةٍ تامَّةٍ عَنِ الضَّجَّةِ الخارجيَّةِ)[3].

---

(١) شنت كلٌّ من : بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني ، عدواناً ثلاثياً على مصر ، في ٢٩ أُكتوبر إلى ٧ نوفمبر عام ١٩٥٦م ، إثرَ تأميم «جمال عبد الناصر» لقناة السويس ، كما قام المصريون بإغراق سفن ملاحة ، عند مدخل القناة ، لمنع بريطانيا وفرنسا من تحقيق أي نجاح هناكَ .. انظر ، أنتوني ناتنج : ناصر ، ترجمة ، شاكر إبراهيم سعيد ، بيروت ، لا . ن ، ط١ ، ١٩٨٥م ، ص ٢٨٣ .

(٢) وهو من المقرّبينَ جداً من الرئيس «جمال عبد الناصر» وكان يشرفُ على معهد الدراسات الاشتراكية في نادي الشمس في القاهرة . انظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص١٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٣٧، ١٣٨ .

كانَ «البهيُّ» سعيداً في هذا الانقطاع الخارجيِّ ؛ لأنَّهُ وَجَدَ الوقتَ الكافيَ لِمُمارَسَةِ الفِكْرِ والكتابَةِ ، واستَطاعَ أنْ يعرِضَ الدِّينَ الإسلامِيَّ ، بثوبٍ جَديدٍ مِنَ السُّلوكِ الرّاقي ، والخُلُقِ القَويمِ ، والتَّعامُلِ الحضاريِّ الكريمِ .

اشتغَلَ في آخرِ حياتِهِ ، في التَّفسيرِ الموضُوعيِّ للقُرآنِ الكريمِ ، ليبقَى الإسلامُ عِملاقاً في مواجَهَةِ التَّحدِّياتِ الأيديولوجيَّة الماركسيَّةِ ، والرأسماليَّةِ الماديَّةِ . مُتمثِّلاً بقولِهِ تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).

رَدٌّ مِنَ اللهِ تَعالى على أصحابِ الدَّعواتِ الباطلَةِ ، ورُؤوسِ الأحزابِ المارِقَةِ ، الَّذينَ ما انفكُوا يَكيلونَ التُّهَمَ لِهذا الدِّينِ ، ويُشكِّكُونَ بصلاحيَّةِ القُرآنِ ، فَخيرٌ لَهُم أنْ يُقبِلُوا عليهِ ، فَهُوَ يقودُهُم إلى الحقِّ ، إنْ كانُوا يُريدونَهُ ؛ لأنَّ اللهَ تعالى أرادَ بالنَّاسِ خيراً ، فنزَّلَ لَهُمُ الذِّكرَ المحفوظَ (مِنَ التَّحريفِ والزِّيادَةِ والنَّقْصِ ، بأنْ جعلَهُ مُعجِزاً مُبايناً لكلامِ البشَرِ ، حيثُ لا يَخفَى تغييرُ نظْمِهِ على أهلِ اللسانِ . أوْ نفيُ تَطَرُّقِ الخَلَلِ إليهِ في الدَّوامِ ، بضمانِ الحفظِ لَهُ)[1].

فالقُرآنُ هُوَ كتابُ اللهِ تَعالى الَّذِي صانَهُ ورعاهُ . والإسلامُ دينُهُ الَّذي اختارَهُ وارتضاهُ . وهُما يَمْقُتانِ الوثنيَّةَ بأنواعِها وأشكالِها ، لا سيما أنَّها ترتكِزُ على الحزبيَّةِ العمياء ، وَتَتْبَعُ الأهواءَ .

* * *

(١) عبد الله بن عمر البيضاوي « المتوفى سنة ٧٩١هـ» : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م ، ٤٤٤/١ .